الأهرام

المصدر : الاتحاد

التاريخ : ١٩ أغسطس ١٩٩٢م

«بوزنيا هيرزوجوفينيا»... والمسألة الشرقية الجديدة:
اضافة الى حساب السلام... خصما من حسابات اخرى

اصبحت دولة «بوزنيا ـ هيرزجوفينيا» هي ثانية دولة ذات اغلبية مسلمة في اوروبا (بعد البانيا). وقد كانت هذه الدولة (او هذا الاقليم قبل اعلان استقلاله منذ شهور قليلة) بؤرة تجمعت حولها، وفي داخلها، منذ اواخر القرن الماضي، كل اطراف الصراعات التي خرجت من حرائقها، «الخريطة الاستراتيجية» في اوروبا طوال القرن العشرين: الخريطة التي كانت مكوناتها الاساسية هي الامبراطورية الروسية (قيصرية او سوفييتية). والوزن الالماني المفتت الساعي الى الوحدة او المجتمع الموحد الساعي الى الانتشار نحو الشرق، والنفوذ الفرنسي بكل الوانه ـ تتجمع احيانا وتتفرق في احيان اخرى: الوان الكاثوليكية، او شعار الحرية، او شعار احترام شعوب اوروبا الصغيرة، والنفوذ البريطاني بلونه الوحيد: لون قوة الامبراطورية العظمى وقدرتها الدائمة على تكوين التحالفات الناجحة، واخيرا ـ النفوذ الامريكي ـ الذي دخل بعد الحرب العالمية الثانية، بوصفه القوة الرئيسية القادرة على التصدي لاكبر خطر هدد الغرب والعالم الحر كله: خطر التوسع «الشيوعي ـ الروسي».

ورغم اعتراف «المجموعة الاوروبية» ثم الولايات المتحدة، بعد اعتراف تركيا باستقلال «بوزنيا ـ هيرزجوفينيا» فان «الاقتتال» داخل الجمهورية الوليدة لم يتوقف، بل ازداد اشتعالا، بين الاغلبية البوزنية من شعب البلاد الاصلي القديم (الذي اعتنق الاسلام منذ عصر الدولة السلجوقية في الاناضول في القرن الثاني عشر وقبل ظهور دولة بني عثمان ـ الاتراك ـ نفسها بقرن كامل) والاقلية من المهاجرين، من ابناء كل من «الصرب» الاورثوذكس و «الكروات» الكاثوليك: الشعبين اللذين كانت تضمهما مع شعب البوزنة، دولة يوغوسلافيا، (جنبا الى جنب شعوب: مقدونيا، والجبل الاسود، الاورثوذكس: وسلوفينيا الكاثوليك)... ولكن «اغلبية» هذه الاقلية الصربية المحاربة في البوزنة الآن ضد استقلالها، تتكون ـ كما هو الوضع في كل اقاليم «يوغوسلافيا» القديمة، من الصربيين الذين لايزالون يحملون حلمهم «الامبراطوري» القديم: حلم فرض انفسهم، ولو بالقوة، على كل شعوب «البلقان» على اساس انها شعوب «سلافية جنوبية»، اكبرها هو الشعب الصربي نفسه، الذي كان قد كون امبراطورية صغيرة في القرون الوسطى اخضعت هذه الشعوب بالفعل حتى دمرها العثمانيون عام ١٣٨٩ في معركة كوسوفو. بمعونة محاربي البوزنة ومساعدتهم...

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

ان هذا الطموح الصربي القديم، مع ضآلة حجم الصرب نفسها وضآلة امكانياتها، بالقياس الى حجم وامكانيات الطامعين الاوروبيين الآخرين في البلقان (من الروس والالمان الى البريطانيين)... كان هو الباب الذي دخلت منه دائما كل محاولات فرض النفوذ ـ او السيطرة على كل شعوب البلقان: ولابد ان نتذكر، انه حتى في ظل الدولة الشيوعية اليوغوسلافية، التي اسسها تيتو (الصربي) كانت السيطرة المباشرة في الدولة والجيش واجهزتها المختلفة، وفي الحزب الحاكم.... للصربيين، وقد تحققت هذه السيطرة اثناء الحرب العالمية الثانية واثناء مقاومة الاحتلال النازي، بفضل العون الروسي السوفييتي الذي كان يوجه الى الصربيين، بوصفهم الاخوة السلاف الرئيسيين للروس ولكن تيتو (الممثل الاصيل للطموح الصربي القديم لاستعادة الامبراطوري (بصرف النظر عن العباءة الشيوعية والاممية) لم يحب ان يظل خاضعا للنفوذ الروسي الذي كان يتسلل اليه عبر البلغاريين ـ اشقاء الروس والطامعين ايضا مثل الصربيين في امبراطورية صغيرة بلقانية خاصة بهم ـ وكان هذا الرفض للهيمنة الروسية، هو الدافع الرئيسي لتمرد تيتو الشهير ضد ستالين وضد سيطرة موسكو.

ايامها (ايام هذا التمرد) لم يكن في وسع «الطامعين» القدامى: من الالمان او الفرنسيين او الايطاليين او البريطانيين، ان يفعلوا شيئا، وكانت الولايات المتحدة ـ علاوة على بعدها الجغرافي وعدم وجود اية علاقات، «عرقية» او طائفية لها بشعوب البلقان اليوغوسلافي من اورثوذكس او كاثوليك او مسلمين ـ كانت هي القوة الوحيدة التي راى تيتو ـ الشيوعي ـ ضرورة الاستناد اليها في صراعه ضد نزاع موسكو الروسي الطويل في شرق اوروبا.

الآن تغير الوضع: تضاءل النزاع الروسي وانكمش حتى الى ماوراء حدوده في القرن الخامس عشر (قبل ضمه حتى لاوكرانيا وبيلوروسيا ومولدافيا.. الخ)... وانبسط

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

بقلم:
سامي خشبة

النزاع الالماني الذي يمتد عبر النمسا ـ الالمانية ـ الى المجر ـ ذات الهوى الالماني ـ ليصل الى حدود البلقان، واحبائه القدامى هناك: الكروات والسلوفينيين وخصومه القدامى ايضا: الصربيين انفسهم!

وربما كانت للفرنسيين ـ والايطاليين ـ نسبيا ـ محاولاتهم وسط «اشقائهم» الكاثوليك من اليوغسلافيين القدامى، في منافسة مع الالمان: اي وسط الكروات والسلوفينيين بالذات.. وربما ايضا وسط اهالي الجبل الاسود ومقدونيا: فهؤلاء الاورثوذكس لايحبون الخضوع لاشقائهم في «الملة» من الصربيين، وهم يفضلون الاستعانة بقوى اكثر رقيا ـ مثل فرنسا او ايطاليا ـ رغم اختلاف العقيدة، حرصا على الاستقلال «القومي» من اطماع الصرب والبلغار..

هكذا تعود الشبكة البلقانية المعقدة، فتطرح نفسها بكل تعقيداتها من جديد على «الوعي الاستراتيجي» الاوروبي.. بل العالمي ـ لكي تطرح على هذا الوعي الاستراتيجي ـ قضية: «المسالة الشرقية» من جديد، ولكن في ضوء معطيات جديدة تماما، مختلفة عن المعطيات التي لسارت فيها «المسالة الشرقية» في القرن الماضي.. ومختلفة ايضا عن «الحل» المؤقت، الذي كان يبدو مثاليا ـ لهذه المسالة، باقامة دولة يوغوسلافيا، وبتوزيع ماتبقى من اقاليم البلقان، او اجزاء اقاليمه، بين البانيا واليونان ورومانيا وبلغاريا... دون ان يتبقى لتركيا، المالكة القديمة لكل هذه الاقاليم، سوى «كتلة ارضية» صغيرة، تحيط اسطنبول من الغرب، وتجعل مداخل البحر الاسود ـ في بحر مرمرة ـ اي مضايق الدردنيل والبوسفور ـ تحت سيطرة واحدة، هي السيطرة التركية الخالصة.

فهل تعود «المسالة الشرقية» الجديدة، اي مسالة «وراثة يوغوسلافيا» في البلقان، لكي تكون هي بؤرة التوتر الاوروبي الجديدة، ومركزها، مثلما كان الوضع في بداية القرن الماضي؟ هو «البوزنة والهرسج» التي تريد الآن ان تستقل، وتحارب الصرب ضد استقلالها، وحيدة هذه المرة (بعد ان كانت تحارب قديما تحت حراسة سلافية روسية قيصرية، او سوفييتية)... ام انها تحارب هذه المرة تحت العباءة نفسها، بينما تختفي هذه العباءة بالذات تحت ستار خيالي اسمه: «تفكك الدولة السوفييتية» لصالح حلف اوروبي جديد، يتكون الآن بين الشرق وراء بولندا ـ وبين الغرب والوسط ـ تحت بولندا وتحت وسط اوروبا كله؟ ام ان الامور قد تكون اكثر من ذلك تعقيدا بكثير؟

هل يكون استقلال «بوزنيا هيرزجوفينيا» اضافة الى حساب السلام والتفهم المتبادل بين الشعوب ـ البلقانية، والاوروبية على السواء ـ ذات الاديان والثقافات المختلفة، ام الى حساب التوتر الذي تتراكم الآن سحبه ثقيلة في سماء اوروبا؟

ولكن، ما اهمية «بوزنيا ـ هيرزجوفينيا» على اية حال؟ لننظر الى الخريطة، الجغرافية، والعرقية، والدينية والسياسية، فلعل الاجابة ـ او خطوط اسسها ـ تكون كافية فيها.

الجغرافيا الارضية تقول، ان «بوزنيا ـ هيرزجوفينيا» تحتل موقعا استراتيجيا خطيرا بالنسبة لكل من يحتاج الى دخول اقصى الجنوب الشرقي لاوروبا، والوصول الى كل من المضايق ـ او مداخل البحر الاسود ـ او الى البحر الاسود نفسه: انها الاقليم الذي يقع عند اقصى الطرف الشمالي الغربي من شبه جزيرة البلقان، يحتل الزاوية الشمالية الغربية من ساحل بحر الادرياتيك المواجه لشبه جزيرة تريستا الصغيرة الايطالية ويمتلك كل مصاب انهار البلقان ـ الداخلة الى قلبه والقادمة منه ـ كما يمتلك اهم موانىء البلقان كله على البحر الادرياتي.

والاقليم بهذا الموقع، لايكون مدخلا الى البلقان فحسب (من الغرب الى الشرق) بل يكون مدخلا الى شمال ايطاليا من الاتجاه المعاكس من الشرق الى الغرب. وهو بهذا الموقع يفصل الصرب كما يفصل كرواتيا عن البحر الادرياتي باستثناء شريط ساحل صغير ضمه تيتو الى كرواتيا عام ١٩٤٧ والصرب لاتستطيع الوصول الى البحر نفسه في الجنوب بسبب وجود جمهورية «الجبل الاسود» ولا تستطيع الالتحام بالسلافيين الاورثوذكس في الشمال اي: البلقان بسبب وجود جمهوريتي كرواتيا وسلوفينيا ـ الكاثوليك ـ في الطريق...

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

والجغرافيا، العرقية والدينية، تقول، ان شعب البوزنة، رغم انه سلافي الاصل، الا ان دماء تركية ــ آرية ــ كثيرة قد امتزجت به، وهو شعب مسلم سني وسط شعوب مسيحية، اورثوذكسية في شرقه وجنوبه: الصرب والجبل الاسود، وكاثوليكية في شماله وغربه: الكروات والسلوفينيين والايطاليين.

ولكن الخريطة «السياسية» لابد ان تكون هي «قمة» هذه الخرائط جميعا، كما لابد ان تكون خلاصتها: فالمسالة الشرقية الجديدة (اي مسالة وراثة يوغوسلافيا، بعد ان كانت مسالة وراثة تركيا العثمانية) تنشا وتتطور، كما قلت منذ قليل، في اطار وضع يختلف عن اوضاع، وآخر القرن الماضي، وعن الاوضاع التي سادت طوال القرن العشرين: لم تعد هناك امبراطورية تركية، وانما دولة قومية، ذات حدود واضحة، وهموم لاتتجاوز افاقها، آفاق تواجد الامة التركية نفسها، في ارضها وبصرف النظر عن «اسلوب» معالجة تلك الهموم (هو اسلوب يصاغ بوسائلها المختلفة) فالواضح ان تركيا لاتحمل اية احلام امبراطورية، وإن كانت مؤهلة لطرح تصور عن «تنسيق» اقليمي واسع لشعوب الاسرة اللغوية التركية، الي الشرق منها، وليس الى الغرب.

ولقد انسحب الروس الى ماوراء اوكرانيا وبيلوروسيا ومولدافيا، ويفصلهم عن البلقان ــ علاوة على هذه الدول الجديدة ــ دول اخرى «بلقانية» قديمة: المجر ورومانيا وبلغاريا، وحتى اذا كان لهم اتصال «تحتي» باشقائهم التابعين القدامى (في اوكرانيا وبيلورسيا ومولدافيا) او اذا تجدد هذا الاتصال عندما تستقر او تحسم الخلافات الشكلية الحالية فانهم سيشغلون عقودا طويلة بتطوير انفسهم، وبمواجهة الاثقال التي ستتجاذبهم من الغرب (المانيا وفرنسا) ومن الشرق (الصين واليابان)..

لايبقى من اصحاب الاوزان ذات الجاذبية والفاعلية القوية القدامى، سوى الالمان، وتاثيرهم لابد ان يقلب الموازين التي سادت في البلقان منذ نهاية الحرب العالمية الثانية: فقد كان على الولايات المتحدة ان تدعم تيتو (وبالتالي السيطرة الصربية) لكي تواجه التمدد الروسي ــ السوفييتي، ولكن الالمان الان يضغطون بالتاثير المزدوج: الكاثوليك والغربي (او الميل الى حضارة غرب «وسط اوروبا») عن طريق الكروات والسلوفينيين، ومن ناحية اخرى فان اهتمامات الولايات المتحدة، بالعالم الاسلامي كله لابد كانت ذات تاثير ايجابي في اسراع واشنطن بالاعتراف بدولة «بوزنيا هيرزجوفينيا» الجديدة ذات الاغلبية الاسلامية، ان تحذير واشنطن الصارم لكل من دولتي الصرب والكروات، من محاولة اقتسام بوزنيا هيرزجوفينيا فيما بينهما: وبواسطة «آلية» انتشار التاثير، فان هذا التحذير موجه في وقت واحد الى كل من الالمان، والقوى التي ربما تراودها مغريات التحالف مع الصربيين او استخدامهم.

وماذا بعد؟

هل يتواصل «الاشتعال الداخلي» في البلقان، لكي تصبح المنطقة كلها هي مسرح الحرب الاوروبية الجديدة التي تجرب فيها قوى التوازن الدولي الجديد فمدى قوة كل منها ازاء خصومها؟

أم تستطيع بوزنيا هيرزجوفينيا، بتكوينها الفريد في البلقان، وفي اوروبا: تضم المسلمين مع الارثوذكس مع الكاثوليك، السلافيين والآريين واللاتينيين، لكي تكون نواة «لدولة يوغسلافيا» جديدة، لايسيطر فيها عنصر عرقي او ديني على عنصر آخر، بل تتساوى الحقوق والواجبات؟

ام تكون بوزنيا هيرزجوفينيا، نواة ــ وقاعدة ــ لدخول كل اجزاء ودول يوغوسلافيا الجديدة، في الاطار الاوروبي المتوحد القادم، بما يضمن اذابة كل عناصر الالتهاب والتصارع القديم في هذا الاطار الواسع بقوانين واسس التعاون بين الدول والكيانات التي سيتكون فيها؟

ان كل الاحتمالات لاتزال مطروحة، ومن المهم ان نكون نحن في العالم الاسلامي، وفي العالم القريب من البحر المتوسط ــ الفاعل فيه والمتفاعل بما يجري حوله وداخله ــ قادرين على ضمان ان تكون «بوزنيا هيرزجوفينيا» اضافة الى حساب السلام والتفاهم بين الشعوب ذات الثقافات المختلفة، في عصر يحتاج ــ اكثر من اي شيء ــ الى هذا التفاهم.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية